الامام الحسن منذ الولادة وحتى الشهادة

الباحث
رسول عيسى مهدي
الكاظمية المقدسة

يعد هذا البحث عن الامام الحسن عليه السلام ، وما ادراك ما الامام الحسن هذا الطود العظيم سليل الدوحة المحمدية الحسن الذي أمن به البعض وبجلة اخرون وعطوة حق قدرة من الرفعة ومكانة والكرامة وزلت اقدام البعض من رفعته ومكانته لتكون عرجاء - ويقدم هذا البحث عن امام الحسن مع العلم مدى وعورة الطريق وتصارع الآراء لكن علينا ان نبين ماهي الجوانب واشراقات من الفكر الثاقب والسيرة الجهادية للإمام الحسن عليه السلام.

والأدوار التي قام بها أهل البيت عليهم السلام رغم اختلافها الظاهري - إلاّ أنّها في الحقيقة وحدة متكاملة ومنهجية متشابهة؛ حيث كلّ عنصر فيها اعتبر مكمل لدَور العنصر الآخر، وبالتالي هي سلسلة واحدة متصلة تعمل على تحقيق هدف واحد، ألا وهو إقامة حكومة العدل الإلهي على يدَي الإمام الحجّة المنتظر المهدي (عجّل الله تعالى فرَجه الشريف) في آخِر الزمان.

فاختلاف الازمان والادوار في السيرة الجهادية العطرة لأهل البيت عليهم السلام ، لا يعني - على سبيل المثال - أنّ الإمام الحسين عليه السلام رجل ثورة وقتال فقط، بينما الإمام الحسن عليه السلام رجل مهادنة وسلم، بل الواقع غير ذلك، فالسيرة الحسنية الجهادية غلَب عليها طابع الصلح مع العدوّ لأسباب وظروف حتمت ذلك، بينما السيرة الحسينية غلب عليها طابع الثورة والجهاد لأسباب وظروف أخرى مختلفة.

(... وقد يرى البعض بأنّ الحسن عليه السلام صاحب الصلح والمهادنة، والإمام الحسين عليه السلام صاحب ثورة وقتال، إلاّ أنّه لو عكسنا الادوار لقام كلٌّ منهما بنفس

الـدَور، أي ان الادوار هـي الـتي حكمـت بـأنّ كـلّ منهمـا ينـتهج نهجـاً مـا، أي الظروف والاوضاع هي التي تحكم بالحرب أو السِلم، بينما المنهج والهدف هو واحد، هو فقط لمصلحة الامة لا غير)[1].

وعلى ضوء ما تقدم نلاحظ بأنّه عند الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام، فإنّه يتبادر مباشرة للذهن صُلحه مع معاوية، وكأنّ حياته عليه السلام كلّها تُختزل في هذا الصلح - وذلك بغضّ النظر عن أهميّتها - وبالتالي هو بعيد كلّ البُعد عن ساحات القتال والمواجهة، لكن سيرته سلام الله عليه تحدّثنا بغير ذلك.

عندما نتحدث عن أعَدّاد الجيوش والمقاتلين لقتال معاوية عندما سمحت له الظروف بذلك، لكن عامل الذي برز في صفوف جيشه عليه السلام - كالظهور حالات الخيانة والغدر - ما ظهر الامام نحو الصُلح مع معاوية، وكما يقول عليه السلام مجيباً أحد أصحابه: (والله لو وجدت أنصاراً لقاتلت معاوية ليلاً ونهارا)؟[2].

ومع كلّ هذا وبعد وقوع الصلح مع معاوية، استمرّ الإمام الحسن عليه السلام في مسيرته الجهادية ضده، بل عمل على تمهيد الأرضية المناسبة للثورة امام الحسين، وشهادته عليه السلام.

فالجواب: واضح وبديهي، هو أنّ الإمام الحسن عليه السلام هو رجل ثورة ضد الظلم بكلّ ما للكلمة من معنى، سواء كان ذلك الجهاد بالكلمة أو بالسيف؛ ولهذا أصبح استمرار جهاد الإمام الحسن عليه السلام ضد معاوية تباعة، وفضح النظام الأموي، ما دفع معاوية لوضع حدٍّ له، فكانت الشهادة المباركة.

وبناءً على ذلك، فان الكثير من الكتب والبحوث، ركزت حياته المباركة تحمِل عنوان (صلح الإمام الحسن عليه السلام) - دون النظر الى السيرة الجهادية للإمام الحسن مع أهمية تلك الدراسات ـ ممّا يوحي بأنّ الحسن عليه السلام رجل صلح ومهادنة فقط.

وكما يشير سماحة السيد القائد الخامنئي (دام ظلّه الوارف) بقوله: إنّ غُربة الأئمة عليهم السلام لم تقتصر على الفترة الزمنية التي عاشوها في حياتهم، ولكنّها استمرّت

ولعصور متمادية من بعدهم) وهكذا كان هدف الإمام المجتبى عليه السلام تأسيس حكومة إسلامية للمستقبل القريب، فقوله عليه السلام: (ما ندري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين) في جوابه للمسيب بن نجيه ولآخرين عندما سألوه عن سبب سكوته، هو خير دليل وإشارة إلى هذا المستقبل[٣].

وقد ابتنى البحث على اربع مطالب وخاتمة تناولت في المطلب الاول حياة الامام الحسن عليه السلام من حيث اسمة ونسبة وولادته وعائلته وعصرة اما في المطلب الثاني تناولت فيه اهم مواقف الامام فب عهد الرسول الاكرم وفي عهد ابو بكر وعمر وعثمان وكذلك في عهد امير المؤمنين علي عليه السلام وكذلك تحدثت عن معركة الجمل وصفين ونهروان اما المطلب الثالث تناولت فيه ولاية الامام وخلافته وصلح الامام مع معاوية اما المطلب الرابع تناولت فيه شهادته المباركة ثم انهيت الدراسة بخاتمة ذكرت اهم ما خلص الية البحث واسال الله ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

المطلب الأول

اسمة ونسبة وولادته وشخصيته وعائلته

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف الهاشمي القريشي، سبط الرسول الكريم وريحانته وأُمّه هي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتؤكد المصادر التاريخية ان الامام الحسن عليه السلام ولد في المدينة المنورة في النصف من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة ولما حملت به فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت ام الفضل زوجة العباس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله رأيت في المنام وكأن عضوا من اعضائك قد سقط في حجري فقال صلى الله عليه وآله خيرا رأيت، تلد فاطمة غلاما فتكفلينه وترضعينه فولدت فاطمة الزهراء الحسن عليه السلام فدفعة النبي اليها فأرضعته، وهو أوّل ولَد يولد من سلالة الرسالة؛

ليحفظ الله به وبأخيه الإمام الحسين عليه السلام نموّ تلك الشجرة الطيبة، التي أصلها ثابت، وفرعها في السماء.

ورعاه جدّه العظيم، بعينه وقلبه، فهو قطعة من وجوده، وومضة من روحه، وصورة تحكيه، أورثه هيبته وسؤدده، حتى فَرِقَ منه أعداؤه، وأعظمه مخلصوه وأحبّاؤه، وأَعظِم بإنسانٍ جدّه محمد، وأبوه علي، وأُمّه فاطمة، وأيّ فخر بعد هذا المفتخر، وأيّ مجدٍ بعده لإنسان.

فلهذا كان المقام المقدّس الذي حظيَ به الإمام الحسن عليه السلام على لسان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي يدفعنا لمزيد مِن التأمّل في سيرته المباركة، بكلّ ما تحتويه من جوانب عظيمة وكمال ذاته وحِكمته، وسدادٍ رساليّ، والذي نراه ينسجم تماماً مع وصف رسول الله صلى الله عليه وآله له وموضعه منه، فيما ورد عنه صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام منها:

عن زينب بنت أبي رافع عن أُمّها قالت: (قالت فاطمة عليها السلام يا رسول الله، هذان ابناك فانحلْهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أمّا الحسن فنحلتُه هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فنحلتُه سخائي وشجاعتي)[٤].

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أيضاً في حقّه عليه السلام: (لو كان العقل رجلاً لكان الحسن عليه السلام)[٥].

وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامة الحسن المجتبى عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله: (يا علي أنا وأنت وابناك الحسن والحسين، وتسعة مِن وُلد الحسين أركان الدين ودعائم الإسلام، مَن تبِعنا نجا، ومَن تخلّف عنّا فإلى النار)[٦].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوجّه الأنظار إلى إمامة ولَده الحسن عليه السلام ومقامه السامي، حيث كان عليه السلام يسأله عن المسائل المختلفة أمام مرأى ومسمع الملأ من أصحابه، وقد تركّزت أسئلته على: الزهد والسداد، والكرم والإخاء والمَنعة وغيرها، وكان الإمام عليه السلام يجيب عليها بأجوبة مختصرة شافية[٧].

وكان عليه السلام يكلّف الإمام الحسن عليه السلام بالمهام الصعبة، ويبعثه لحلّ الأزَمات،

ويُشركه في المواقف الحرجة، فقد بعثه إلى أهل الكوفة لعزل الأشعري، وأمره بإجابة عبد الله بن الزبير في الجَمَل، وأمره بنقْض حُكم الحكَمَين؛ لمخالفتهما القرآن.

وقد عهد أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة لابنه الحسن عليه السلام، في اليومين الأخيرين من حياته عليه السلام - وبعد أن ضربه ابن ملجم ـ حيث أدناه وأوصى إليه قائلاً: (يا بنيّ إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتُبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتُبه وسلاحه، وأَمَرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين...)[٨].

وأمّا مبايعة الحسن عليه السلام بالخلافة فقد كانت بعد استشهاد والده عليه السلام ودفْنه، حيث وقف الإمام الحسن عليه السلام خطيباً بين الناس وقال: (قد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبِقه الأوّلون، ولا يدركه الآخِرون بعمل...)، ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثمّ قال: (أيّها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا ابن البشير، أنا ابن النذير...)، ثمّ قام عبد الله بن العبّاس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا، وقالوا: (ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة ! فبايعوه)[٩].

وكان عدد المبايعين له أكثر من أربعين ألفاً، كانوا قد بايعوا أباه على الموت[١٠].

وبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق، وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن[١١].

وقد جاءت اعترافات معاصريه عليه السلام بمؤهّلاته وفضائله لتؤكّد استحقاقه للخلافة، وخصوصاً أنّ بعض هذه الاعترافات كانت من قِبل شخصيات مخالفة لأهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام، والفضل ما يشهد به الأعداء.

قال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه السلام عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك[١٢].

وأما مدح معاوية للحسن عليه السلام فقد كان يقول:

أمّا الحسن فابن الذي كان قبله، إذا سار سار الموت حيث يسير(١٣).

فتميّز الإمام الحسن عليه السلام بخصائص قيادية فريدة، جعلت معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورته ؛ لأنّه عليه السلام كان أحسن الناس منطقاً في زمانه، وكان عليه السلام دائم الارتباط بالله تعالى وأكثر الناس خشية منه، إضافة لتميّزه سلام الله عليه بالزهد والخير والكرم والحلم، وفوق كلّ ذلك كان شجاعاً لا يخشى إلاّ الله تعالى، فقد قال لمعاوية (إنّ الخلافة لَمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله... وليست الخلافة لَمن عمَل بالجود وعطّل الحدود)(١٤).

ومن كفاءاته عليه السلام أنّه وجد أنّ مصلحة الإسلام تكمن في الصلح، فصالح معاوية، وحقَن دماء أنصاره وأتباعه وسائر المسلمين، ولم يدخل في معركة خاسرة لا تُحسم لصالحه ولصالح الوجود الإسلامي.

المطلب الثاني

السيرة الجهادية للإمام الحسن عليه السلام وأهم مواقفه

١ـ في عهد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله:

عاش الإمام الحسن عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنوات من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلّتها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغرّة عن شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حتى ليصبح جديراً بذلك الوسام العظيم، الذي حباه به جدّه، حينما قال له - حسبما روي - (أشبهتَ خَلقي وخُلُقي).

فشبهه عليه السلام لجدّه في الخَلق، هو أمر واضح، من ناحية التشابه بالملامح والمنطق... أمّا شِبهه في الخُلُق يُعدّ وسام الجدارة لذلك المنصب الإلهي، الذي هو وراثة وخلافة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ثمّ وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام، نعم من هنا نعرف السرّ والهدف الذي يرمي إليه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في تأكيداته المتكررة، تصريحاً، وتلويحاً على ذلك الدَور الذي ينتظر الإمام الحسن وأخاه عليهما السلام، وإلى المهمّات الجليّة التي يتمّ إعدادهما لها، حتى يصرّح صلى الله عليه وآله بأنّهما عليهما السلام (إمامان قاما أو قعَدا)(١٥).

وروي أنّه ﷺ أخبر بما يجري على الإمام الحسن عليه السلام من بعده، فيقول: (إنّ ابني هذا سيد، وسيُصلِح الله على يديه بين فئتين عظيمتين)[١٦].

وممّا يدخل في الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد جدّه النبي ﷺ، قضية المباهلة مع علماء نصارى نجران الذين ناظروا رسول الله في عيسى، فأقام عليهم الحجّة، فلم يقبلوا... ثمّ اتّفقوا على المباهلة أمام الله؛ ليجعلوا لعنة الله الخالدة على الكاذبين، ففي اليوم المحدّد خرج إليهم النبي ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام، وأمام ذلك طلب نصارى نجران من رسول الله ﷺ أن يعفيهم من المباهلة...[١٧].

٢ـ في عهد الخلفاء الثلاثة:

أ. في عهد أبي بكر:

كان للإمام الحسن عليه السلام موقف هامّ مع أبي بكر، حيث جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له عليه السلام: (انزل عن منبر أبي)، فأجابه أبو بكر: صدقت والله، إنّه منبر أبيك، لا منبر أبي، فبعث علي عليه السلام إلى أبي بكر: (إنّه غلام حدث، وأنا لم آمره، فقال أبو بكر إنّا لم نتّهمك)[١٨].

مع التأمّل في ردِّ أمير المؤمنين عليه السلام: أنا لم آمره، أي أنّه لا يتضمّن أي إنكاراً على الإمام الحسن عليه السلام، ولا إدانة لموقفه، بل الإمام الحسن لا يحتاج إلى أمر، فهو يدرك كلّ الأحداث التي عايَشها بفِكره الثاقب، وإنّ عليه مسؤولية إبقاء حقّ أهل البيت عليهم السلام على حيويّتها في ضمير ووجدان الأُمّة.

ب. في عهد عُمَر بن الخطّاب:

بعد قضية الشورى على النحو المعروف، ودعوة عمَر بن الخطّاب للمرشَّحين ومخاطبته لهم قائلاً: (وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار، وليس لهم من أمركم شيء، وأحضِروا معكم الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، فإنّ لهما قرابة، وأرجو لكم البركة في حضورهما، وليس لهما من أمركم شيء ويحضر ابني عبد

الله مستشاراً، وليس له من الأمر شيء...) فحضر هؤلاء.

فبالنسبة لقبول الإمام الحسن عليه السلام للحضور في الشورى، فهو كحضور علي عليه السلام فيها... فكما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترك فيها من أجْل أن يضع علامة استفهام على رأي عُمَر، الذي كان قد أظهره في أنّ النبوة والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد أبداً، بالإضافة إلى أنّه من أجل أن لا ينسى الناس قضيتهم.. كذلك فإنّ حضور الإمام الحسن عليه السلام في هذه المناسبة، إنّما يعني انتزاع اعتراف من عُمَر بأنّه ممَّن يحقّ لهم المشاركة السياسية، حتى في أعظم وأخطر قضية تواجهها الأُمّة(١٩).

ج. في عهد عثمان بن عفان.

كان له عليه السلام مشاركات عدّة، نذكر منها:

١- مشاركته في الكثير من حروب الدفاع عن بيضة الإسلام، وفي كثير من الفتوحات الإسلامية أيام خلافة عثمان، السلام).

وقد نقلت كتُب التاريخ ومرويّاته هذه الحقيقة، وممّا جاء في العِبر لابن خلدون: (وتطلّع المسلمون إلى البصرة والفتح متفائلين بوجود صغير الرسول وحبيبه يجاهد معهم، وكانت الغزوة ناجحة وموفّقة كما يصفها المؤرّخون، وعاد الحسن منها إلى مدينة جدّه وقلْبه مفعَم بالسرور، وعلامة الارتياح بادية على وجهه الكريم؛ لانتشار الإسلام في تلك البقعة من الأرض)(٢٠).

٢- كان موقفه من خلافة عثمان وما آلت إليه هو موقف أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، معبِّراً فيه عن كامل الطاعة والالتزام بأوامره وتوجيهاته في تلك الفترة العصيبة والفتنة العمياء، خصوصاً بعد أن ملّ المسلمون سياسة عثمان وعمّاله، حيث إنّه بعد فشل كلّ المحاولات التي بذَلها المسلمون لإصلاح سياسة عثمان، زحفوا إليه من جميع الأقطار، ودخلوا في مفاوضات معه يطالبونه إمّا بإصلاح ما أفسده، أو بالتخلّي عن السلطة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام وولَده الحسن عليه السلام وسيط بين الخليفة، ووفود الأمصار في محاولة للإصلاح. إلاّ أنّ تدخّل مروان ونقْض كلّ ما أُبرم بين الطرفين من اتّفاقات، فتعقّدت الأمور أخيراً، وهاجمه الثوّار بتحريضٍ من عائشة وطلحة والزبير، وقالت لهم عائشة: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر).

وأثناء ذلك أرسل أمير المؤمنين عليه السلام - كما يُذكر - ولَدَيه حَسَناً وحسيناً؛ ليدفعا عن عثمان الثوار، لدرجة أنّ الحسن عليه السلام قد أُصيب ببعض الجروح وهو يدافع عنه، وذلك كما روى ابن كثير(٢١).

د- في عهد أمير المؤمنين عليه السلام:

في هذا العهد كان الإمام الحسن عليه السلام ظلاًّ لأبيه، في كلّ ما تتطلّبه مسألة الولاء لإمامة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجندياً واعياً مطيعاً لكلّ أوامره، ويشهد على ذلك مهمّاته في تلك الفترة والتي منها:

١- دَوره في حرب الناكثين المعروفة بحرب الجَمَل، وهي الحرب التي استعرت على إثر تمرّد طلحة والزبير في البصرة، ورفعهما السلاح بوجه أمير المؤمنين عليه السلام بقيادة عائشة، فاحتاج الإمام علي عليه السلام إلى مساندة جماهير الكوفة للذَود عن الحقّ الذي يمثّله، فاختار لهذه المهمّة نجلَه الحسن عليه السلام؛ وذلك لشحْذ هِمم أهل الكوفة، وحمْلهم على دعم الموقف الإسلامي الأصيل.

فانطلق الإمام الحسن عليه السلام برِفقة عمار بن ياسر إلى الكوفة، حاملاً كتاب علي عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة، يبلّغه فيه باستغنائه عن خدماته؛ بسبب تحريضه الناس على القعود عن نُصرة علي عليه السلام، وقد نجح الإمام الحسن عليه السلام في استنفار الجماهير لنصرة الحقّ والذود عن الرسالة، فخرج معه عليه السلام إلى البصرة اثنا عشر ألفاً كما جاء في بعض الروايات.

وشارك الإمام الحسن عليه السلام في هذه الحرب إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام، وحمَل

رايتـه وانتصـر بهـا علـى النـاكثين دَوره في حـرب القاسـطين المعـروف بحـرب صفّين[٢٢].

المطلب الثالث

ولاية الإمام الحسن عليه السلام وخلافته

أجمع المؤرّخون على أنّ خلافة الحسن بن علي عليه السلام كانت في صبيحة اليوم الذي دُفن فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد الفراغ من إنزال حكم الله بقتْل ابن ملجم، فقد ضربه ضربةً قضت عليه كما أوصاه أمير المؤمنين عليه السلام.

ومِن ثَمّ تجمّع عنده المسلمون ليبايعوه على الخلافة ـ وعندما بويع الإمام عليه السلام، كان في الجانب الآخر معاوية بن أبي سفيان يترصّد الأخبار، وعاصمته فرحة بقتل أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن خبر البيعة للإمام الحسن عليه السلام هزّه وارعبه، فعمل معاوية على بثّ الجواسيس في داخل المجتمع الإسلامي؛ لنشر الاشاعات و الدعايات ضد الامام الحسنعليه السلام لصالح معاوية في الشام، لكن سياسة الإمام الحسن عليه السلام كشفت مخطّطات معاوية.

وكثُرت الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام و معاوية، وكان أهمّها كتاب الإمام عليه السلام له بوجوب التخلّي عن انشقاقه والانضواء تحت لوائه الشرعي، إلاّ أنّ معاوية رفض ذلك، وكان جوابه الأخير لرسولَي الحسن عليه السلام إليه، أنّه قال لهما: (ارجعا فليس بيني وبينكم إلاّ السيف!).

وهكذا ابتدأ معاوية العدوان، ممّا دفع الإمام الحسن عليه السلام لإعلان التعبئة لحرب الباغية معاوية بن أبي سفيان، ولكنّه عليه السلام أُصيب بخيبة أمل كبيرة حينما انكشف له واقع الجماهير التي يقودها، والتي أثّرت فيها الدعايات الأُمَوية، ولكن هذا النداء وصل إلى أسماع بعض المخلصين، الذين عبّروا عن إخلاصهم بتأنيب الناس، وتحريضهم على النهوض بمسؤولياتهم الرسالية، وعاهدوا الإمام الحسن عليه السلام على المضي قُدُماً في نصرة الحقّ ومواجهة الطغيان.

فاستطاع الإمام عليه السلام أن يسير بعد ذلك بجيش كبير، بلَغ حسب بعض الروايات أربعين ألفاً أو أكثر، ولكنّه ضعيف في معنوياته يستبدّ به التشتّت حتى بلغ النخيلة(٢٣).

وبما أنّ الإمام وجيشه كانوا في معزل عن بعضهما، فقد تمكّن معاوية من بثّ الإشاعات المضلّلة في صفوف جيش الإمام، فقد أُشيع بين جيش الإمام أنّ الإمام قد صالح معاوية، فاضطرب جيش الإمام لهذه الإشاعة، ما دفع عبيد الله بن العباس ابن عمّ الإمام إلى الوقوف إلى جانب معاوية وترْك جيش الإمام، وفي هذه الأثناء أيضاً دارت على الألسُن إشاعةٌ تفيد بقبول قيس بن سعد للصُلح، وهو قوّة المقاومة الوحيدة المتبقّية في مقابل معاوية.

وكانت هذه بمثابة الضربة القاضية التي وُجّهت إلى الوضع النفسي المنهار في جيش الإمام، ولم يمضِ بعض الوقت حتى طفح الكيل، وظهر بوادر التفتت في معسكر الإمام عليه السلام على شكلِ تمزّقٍ وفِتن واضطراب.

وهنا اطمأنّ معاوية بأنّ المعركة لو وقعت بين أهل الشام وأهل العراق ستكون لصالحه، وسيكون الحسن بن علي عليه السلام والمخلصون له من جُنده، خلال أيام معدودات بين قتيل وأسير تحت رحمته، وأنّ السلطة صائرة إليه لا محالة.

ولكن استيلاءه عليها بقوّة السلاح لا يعطيها الصبغة الشرعية، ما دفعه إلى التقدّم بعَرض فكرة الصلح على الإمام الحسن عليه السلام، وترَك للإمام أن يشترط ما يريد، وكان معاوية عارفاً بأنّ مثل هذه الفكرة ستثير الفِتَن بين صفوف أنصار الإمام، بل سيفضلونها على الذهاب إلى الحرب والقتال، وبالفعل أثمرت فكرة الصلح نتائجها، حيث يذكر الشيخ المفيد في إرشاده والطبرسي في أعلام الورى: (أنّ أهل العراق كتبوا إلى معاوية السمع والطاعة، واستحثّوه على السَير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسَن إليه إذا شاء، عند دُنوّه من معسكرهم، أو الفتْك به)(٢٤).

لدرجة أنّ الحسن عليه السلام لّما بلَغه ذلك، كان لا يخرج بدون لامَة حربِه (أي

الدرع)، ولا ينزعها حتى في الصلاة، وقد رماه أحدهم بسهم وهو يصلّي فلم يثبت فيه.

فالإمام الحسن عليه السلام لم يفكّر قطّ بالصلح مع معاوية أو مهادنته، غير أنّه بعد أن تكاثرت لديه الأخبار عن تفكّك جيشه، وانحياز أكثر القادة إلى جانب معاوية، ما دفع عليه السلام أن يختار بين أمرين:

أوّلهما: الاستمرار بحرب خاسرة لا محالة فيها فناؤه، وفناء أهل بيته وبقية الصفوة الصالحة.

والثانية: القبول بالصلح وحقن دماء أهل بيت النبوة والعصمة وبقية الصفوة الصالحة من شيعتهم؛ ليتّصل حبلهم بحبل الأجيال اللاحقة، وليصل إليها معالم الدين.

وهكذا اضطرّ الإمام الحسن عليه السلام للصلح، في محاولة ناجحة لكشف حقيقة معاوية، الذي انفرد بالحكم واستأثر بإدارة شؤون الأُمّة وقد أثبتت الأيام غدر وخيانة معاوية؛ وذلك عندما داس على بنود الصلح بقدَمَيه ولم يَعُد يعني له ذلك شيئاً.

المطلب الرابع

الشهادة المباركة

انتقل الإمام الحسن عليه السلام بعد توقيع الصلح مع معاوية، إلى مدينة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وودّعته الكوفة وأهلها وهُم يرون الذلّة قد خيّمت عليهم، وتحكّمت الفتنة بهم، وبوصول الإمام عليه السلام إلى المدينة بدأت نشاطاته، وأعماله الفكرية، والاجتماعية تأخذ جانباً مهماً في حياة المسلمين، فأنشأ مدرسة وقيادة فكرية كبرى؛ لتكون محطّة إشعاع للهدى والفكر الإسلامي.

ولكن أجهزة الحكم الأُمَوي لم يكن خافياً عليها ذلك؛ ولأجل هذا عقد أقطاب السياسة المنحرفة اجتماعاً مع معاوية لتداول أمر وضع الحسن عليه السلام، فكان

حديثهم: (إنّ الحسن قد أحيا أباه وذِكره: قال فصُدِّق وأمَر فأُطيع، وخفقَت له النعال، وإنّ ذلك لدافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسيء إلينا).

وهذا الحديث على وجازته يُعتبر أخطر تقرير قدّمه أقطاب البيت الأُمَوي وقادته إلى زعيمهم معاوية، حول نشاط الإمام الحسن عليه السلام، بما دفع معاوية إلى ارتكاب إحدى أكبر الجرائم البشعة بحقّ آل محمد صلى الله عليه وآله، وذلك من خلال خطّته الخبيثة التي دبّرها بالاتّفاق مع زوجة الإمام الحسن عليه السلام - جعدة بنت الأشعث التي دسّت له السم، فقضى شهيداً وكان ذلك سنة (٤٩ للهجرة).

وتشير الروايات بأنّ هذه ليست المرّة الأُولى التي يتعرّض فيها الإمام الحسن عليه السلام لمحاولة اغتياله بالسمّ، حيث ورد عن اليعقوبي: (ولمّا حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: (يا أخي إنّ هذه آخِر ثلاث مرّات سُقيت فيها السمّ، ولم أُسقَه مثل مرّتي هذه، وأنا ميّت من يومي)[٢٥].

ومِن ثَمّ باشر الإمام الحسين عليه السلام أمر تجهيزه، وأخرجه ليُجدّد به عهداً بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يشكّ بنو أمية، أنّهم سيدفنونه هناك، فاجتمعوا لذلك، ولبسوا السلاح، وأقبلوا ومعهم عائشة على بَغْل وهي تقول: (ما لي ولكم، تريدون أن تُدخلوا بيتي ـ أي عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله - مَن لا أحبّ)، وكادت الفتنة أن تقع، بين بني هاشم، وبني أمية، إلاّ أنّ الحسين عليه السلام تدارك ذلك ومضى بأخيه الحسن إلى البقيع، ودفنوه هناك عند جدّته فاطمة بنت أسد.

الخاتمة:

إن للمدينة المنورة الاثر البارز في شخصيته وسلوكه كونه تربى منذ طفولته في بيت النبوة الطاهرة وفي احضان جدة الرسول الكريم وقد ثبتت ان شخصيته تعتبر شخصية قيادية على الرغم من قصر عهد خلافته ومن اهم صفات التي اتصف بها هي استيعابه للأحداث الجارية حولة وقدرته على قيادة الامة الاسلامية في مشروع الاصلاحي العظيم.

وقد كان تنازل الامام الحسن عليه السلام عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين وجمعا لكلمتهم وتوحيد صفهم فهو لم يسالِم معاوية رضاً به، ولا ترَك القتال جُبناً وخوفاً من الموت، ولا تجافى عن الشهادة طمعاً بالحياة؛ ولكنّه صالح حين لم يبقَ في ظرفه احتمال لغير الصُلح، وبهذا ينفرد الحسن عن الحسين، أي الحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل الله، وإنّما صان نفسه يجنّدها في جهادٍ صامت، فلمّا حان الوقت كانت الشهادة كربلاء، شهادة حسنية، قبل أن تكون حسينية، وكان يوم (ساباط) أعرف بمعاني التضحية من يوم الطفّ لدى أُولي الألباب ممّن تعمّق؛ لأنّ الحسن عليه السلام، أعطى من البطولة دَور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكينٍ قاعد.

وكانت شهادة (الطفّ) حسنية أوّلاً، وحسينية ثانياً؛ لأنّ الحسن عليه السلام أنضَج نتائجها، ومهّد أسبابها، كان نصر الحسن الدامي موقفاً على جَلْوِ الحقيقة التي جَلاها - لأخيه الحسين - بصبره وحكمته، وبجَلْوها انتصر الحسين نصرة العزيز وفتَح الله له فتْحه المُبين.

Abstract

This is a search for Imam Hassan (peace be upon them), and realize Maalamam Hasan this great Tod descendant Doha Muhammadiyah Hassan, who believed in him and some Bgelh others and Atwa the right amount of progress and status, dignity, and still the feet of some of the submitted and place to be lame and offers this search for front-Hasan Knowing the extent and the rugged terrain and wrestled opinions but we have to show and Reflections What aspects of piercing intellect and Jihadi Biography of Imam Hassan (peace be upon him).

And the roles carried out by the Ahl al-Bayt (peace be upon them), despite the virtual different but it is in fact integrated unit and a methodology similar; where every element which is considered integral to the role of the other element, and thus is one series

connected to working to achieve one goal, namely the establishment of the Government of divine justice at the hands of Imam Mahdi awaited argument (calf God reappearance Sharif) in the last decade.

Differing times and roles in the biography jihadist fragrant of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), does not mean, for example, that of Imam Hussein (peace be upon him), a man revolution and fight only, while Imam Hassan (peace be upon him), a man appease him, but reality is different, Valsarh Hassania jihadist dominated by the nature of reconciliation with the enemy of the causes and conditions that necessitated, while Biography Hosseinieh dominated by the character of the revolution and jihad reasons and various other conditions.

قائمة المصادر والمراجع

١- جولة الأئمة الأطهار، الشهيد مطهري، ص٣٩.

٢- الاحتجاج، للطبرسي، ص١٥١.

٣- المحاسن والمساوئ، للبيهقي، ج١، ص٦٠ و ٦٥.

٤- الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت، الإمام الخامنئي، ص١٤٣ - ١٤٦.

٥- البحار، ٤٣ - ٢٦٣، ج١١.

٦- فرائد السمطين، ج٢، ص٦٨.

٧- أمالي المفيد، ص٢١٧.

٨- تُحف العقول، ص١٥٨.

٩- أعلام الورى بأعلام الهدى، ص٢٠٧.

١٠- الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٠.

١١- شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣٠ - ٣١.

١٢- أسد الغابة، ج١، ص٤٩١.

١٣- تاريخ ابن كثير، ج٨، ص٣٧.

١٤- تحف العقول، ص١٦٦.

١٥- ابن أبي الحديد، ج٤، ص٧٣.

١٦- بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣٣٨.

١٧- وفيات الأعيان، ج٢، ص٩٩.

١٨- ربيع الأبرار، ج٢، ص٨٣٧.

١٩- الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص .

٢٠- الإرشاد للمفيد، ص٢٢.

٢١- أسد الغابة، ج٢، ص١٣.

٢٢- المباهلة من البهلية، أي اللعنة.

٢٣- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص٨٠.

٢٤- الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام سيد جعفر العاملي، ص١٢٥ - ١٢٦.

٢٥- يراجع تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٥٧. والكامل لابن الأثير ج٣، ص١٠٩. والفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٧٥.